٣٤

مدرسة دار الحكمة للعلوم الإسلامية

مركز دار التنمية والدراسات الإسلامية

محاضرة مكتوبة

معالم في طريق طالب العلم

سماحة
السيد آصف اللعيبي

-٢٠٢٥-

معالم في طريق طالب العلم:

بين فقه الكلمات وبناء الذات

يتناول هذا التقرير لمضـــامين محاضرة الســـيد "آصـــف اللعيبي" تتمحور حول المســـؤولية الأخلاقية والعلمية الملقاة على عاتق طلبة العلوم الدينية، مع التركيز على أهمية إخلاص النية لله وتجنب الغرور أو الســـعي خلف الأهداف الدنيوية، ويشـــدد المتحدث على ضرورة إتقان علوم اللغة العربية والبلاغة كأدوات أساسية لفهم النصوص الشرـــعية ومعاني كلام الأئمة بعمق يتجاوز مجرد الحفظ، كما تدعو المادة إلى الجدية في دراسة المقدمات الحوزوية والجمع بين التحصيل المعرفي والبناء النفسي الرصين لمواجهة تحديات العصر، ويُختتم الطرح بالتأكيد على أن الفقاهة الحقيقية تتجلى في التدبر والتفكر وتطبيق العلم سلوكًا وعملًا، مما يجعل طالب العلم قدوة صالحة في مجتمعه.

مقدمة وافتتاحية:

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته تقبل الله أعمالكم، وأرجو من الله أن يوفقنا وإياكم لما فيه الخير والصلاح إن شاء الله تعالى، نبدأ على بركة الله، بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وآل بيته الطيبين الطاهرين،

أصناف طلبة العلم

أود أن أفتتح كلامي معكم برواية مروية في كتاب "الكافي"، وإن كانت هذه الرواية "مرفوعة" من حيث السند، إلا أن مضامينها مؤيدة بروايات أخرى، الرواية عن علي بن إبراهيم، رفع الحديث إلى أبي عبد الله الصادق (عليه السلام) قال: ((طلبة العلم ثلاثة، فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم: صنف يطلبه للجهل والمراء، وصنف يطلبه للاستطالة والختل، وصنف يطلبه للفقه والعقل.

فصاحب الجهل والمراء: ذو ممارٍ مؤذٍ، متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع، فدق الله من هذا خيشومه وقطع منه حيزومه، وهذا هو الصنف الأول، أما صاحب الاستطالة والختل: فذو خبٍ وملق، أي فيه مكر وتملق، يستطيل على أقرانه وأشباهه ويتواضع للأغنياء من دونه، فهو لحلوائهم هاضم ولدينهم حاطم، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره،

أما الصنف الثالث، وهو صاحب الفقه والعمل: فذو كآبة وحزن وسهر، قد تحنك في برنس وقام الليل في حندسه، يعمل ويخشى- وجلًا داعيًا مشفقًا، مقبلًا على شأنه عارفًا بأهل زمانه، مستوحشً من أوثق إخوانه، فشد الله من هذا أركانه وأعطاه يوم القيامة أمانه))[1].

[1] - الكافي، الكليني: ١/ ٩٧.((علي بن إبراهيم رفعه إلى أبي عبد الله عليه السلام قال : طلبة العلم ثلاثة فاعرفهم بأعيانهم وصفاتهم : صنف يطلبه للجهل والمراء ، وصنف يطلبه للاستطالة والختل ، وصنف يطلبه للفقه والعقل ، فصاحب الجهل والمراء مؤذ ممار متعرض للمقال في أندية الرجال بتذاكر العلم وصفة الحلم ، قد تسربل بالخشوع وتخلى من الورع فدق الله من هذا خيشومه ، وقطع منه حيزومه وصاحب الاستطالة والختل ، ذو خب وملق ، ويستطيل على مثله من أشباهه ، ويتواضع للأغنياء ، من دونه ، فهو لحلوائهم هاضم ، ولدينه حاطم ، فأعمى الله على هذا خبره وقطع من آثار العلماء أثره ، وصاحب الفقه والعقل ذو كآبة وحزن وسهر ، قد تحنك في برنسه وقام الليل في حندسه ، يعمل ويخشى وجلا داعيا مشفقا ، مقبلا على شأنه ، عارفا بأهل زمانه ، مستوحشا من أوثق إخوانه ، فشد الله من هذا أركانه ، وأعطاه يوم القيامة أمانه .

أهمية النية والقصد:

لقد صنفت الرواية هؤلاء الأصناف من ثلاث جهات: قصد الداعي (النية)، والأثر الظاهر، ثم العاقبة، والأمر المهم هنا هو أن نبدأ بالقصد والداعي إلى العمل؛ فمن كانت نيته صالحة فهذا أثره وهذه عاقبته، وهو صاحب الفقه والعقل والعمل.

وينبغي لنا -نحن طلاب العلم- أن ندرك أن القصد هو الشرط الأساس للقبول، وهو شرط "حدوثًا وبقاءً"؛ أي يجب أن يتوفر عند الشروع في العمل ويستمر بعده، وقد يدخل الإنسان لغرضٍ ما، لكنه حين يتدارس العلم ويختلط بالمؤمنين تتغير نواياه ومقاصده فيلتحق بالصنف الثالث الممدوح.

غاية التفقه ومعرفة كلام المعصوم:

إنما أتينا إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف -من شتى أرجاء الدنيا- لنتفقه في ديننا، ومعنى ذلك هو معرفة كلمات أئمتنا (عليهم السلام)، فالمطلوب منا معرفة الحكم الشرعي وكيفية الوصول إليه، وأهم مصادره الكتاب العزيز والسنة، والمراد من السنة هي قول المعصوم وفعله وتقريره، وهي لم تصل إلينا إلا عن طريق الرواية؛ لذا لا بد من معرفة كلامهم وفهم مرادهم.

ولقد ورد الحث في روايات كثيرة على "دراية الحديث" لا مجرد حفظه ونقله؛ فعن الصادق (عليه السلام): ((حديث تدريه خير من ألف حديث ترويه، ولا يكون الرجل منكم فقيهً حتى يعرف معاريض كلامنا))[٢]، ومعاريض الكلام تشمل الحقيقة والمجاز والكناية والاستعارة، وما يخصصه أو يقيده غيره من الكلام، وهو علم واسع يتطلب دراسة اللغة العربية وفنونها.

وحدثني به محمد بن محمود أبو عبد الله القزويني، عن عدة من أصحابنا منهم جعفر بن محمد الصيقل بقزوين، عن أحمد بن عيسى العلوي، عن عباد بن صهيب البصري، عن أبي عبد الله عليه السلام)).

[٢] - معاني الأخبار، الصدوق: ٢.

أهمية دراسة المقدمات والعلوم اللغوية:

ولكي نفهم كلمات الأئمة (عليهم السلام)، فنحن بحاجة ماسة إلى دراسة اللغة؛ لأننا -في الواقع- لا يصدق علينا أننا "أهل لغة" كما نزل بها القرآن، نحن بحاجة لدراسة النحو، والصرف، والبلاغة، وسائر العلوم الأدبية، فهمُ كلماتهم يعني "الفقاهة"، وهذا يتوقف على إتقان هذه المقدمات ثم ممارسة كلمات الأئمة (عليهم السلام) وتطبيقها مدة طويلة.

ولعله يلاحظ وجود خلل في أوساطنا الحوزوية يتمثل في ضعف دراسة المقدمات، رغم أهميتها الكبرى، ميزة الحوزة أن الطالب يبني نفسه علميًا وأخلاقيًا، والأستاذ يعطيه المفاتيح فقط، لذا، فالمسؤولية تقع على عاتق الشباب في الدراسة المجدة والتركيز على دروس المقدمات وهضمها جيدًا، ليكون الطالب متمكنًا من اللغة التي هي مضمار عمله، كما ينبغي التدرب على الكلام الصحيح والفصيح، وليس فقط معرفة قواعد الإعراب.

منهجية الدراسة والترويح عن النفس:

ينبغي هضم الكتب الدراسية جيدًا، مثل "قطر الندى"، ومطالعة ما في عرضها من كتب ومذاكرتها، ولا بأس أن يصاب الإنسان بالملل أحيانًا، وقد روي عن أمير المؤمنين (عليه السلام): ((روحوا أنفسكم ببديع الحكمة، فإنها تكل كما تكل الأبدان))[٣]،

لكن المشكلة ليست في كثرة حفظ المعلومات، بل في فهمها، والتفكر فيها، ومعرفة كيفية الربط بينها وتطبيقها، فنحن لسنا آلات لتسجيل المعلومات، بل نتعلم لنطبق ونستفيد.

[٣] - الكافي، الكليني: ١/ ٤٨.

البناء الأخلاقي والتربوي لطالب العلم:

يقول أمير المؤمنين (عليه السلام): ((من الحق أن تتفقهوا، ومن الفقه ألا تغتروا))[٤]، العلم من مواطن القوة كالسلطان والمال، لذا يجب على طالب العلم ألا يغتر، بل يتحلى بالأخلاق الحسنة ويكون مثالًا لما ورد عن أهل البيت (عليهم السلام).

فيجب على الطالب أن يربي نفسه قبل أن يربي غيره، وأن يكون رصينًا لا يدعي ما ليس فيه، وأن يتمسك بالحق، كما ينبغي له أن يكون واثقًا من نفسه، عارفًا بوظيفته وبأهل زمانه، من الخطأ أن يتطلع طالب العلم إلى المناصب الدنيوية أو العمل في الدوائر والبرلمانات والأحزاب؛ لأن هذا يشتت الفكر ويؤخر المسيرة العلمية، فلقد جئنا أنفسنا لنكون طلبة في الحوزة، فينبغي أن نخلص لهذا الهدف.

الإخلاص والمثابرة:

يجب أن يتشرب الطالب فضل علم الدين إيمانًا عميقًا، فلا يتطلع لشيء آخر، ولا ينبغي أن يتأثر بزميله الذي وصل لمرتبة دنيوية ما؛ فلكل عمله الخاص، تذكروا قوله (عليه السلام): ((لا خير في عبادة ليس فيها تفقه، ولا خير في علم ليس فيه تفكر، ولا خير في قراءة ليس فيها تدبر))[٥].

أسئلة **وأجوبة**:

س١: كيف يكون الشخص ذا فضيلة علمية؟

ج: يكون ذلك بالمثابرة، والدراسة الجادة، والتفكير، والتدبر، والمباحثة، وعرض الأفكار على الآخرين من الثقات؛ لأن الانفراد بالرأي قد يؤدي إلى وهم الفهم وتراكم الجهل.

[٤] - نهج السعادة في مستدرك نهج البلاغة، الشيخ المحمودي: ٣ / ٣٦.
[٥] - معاني الأخبار، الصدوق: ٢٢٦.

س٢: ما الرأي في دراسة الفلسفة؟

ج: فهم الاصطلاحات الفلسفية أمر حسن، وإن اختلف فيه الأعلام، المانعون يخشون تولد الشبهات لمن لا اطلاع له، ولكن مع وجود أستاذ أمين وطالب مثابر ومدرك، فلا بأس بدراستها.

فوائد:

١- الاستفادة من علوم أهل البيت في الطب النفسي: كلمات أهل البيت (عليهم السلام) هي دواء للنفس، وفيها إرشادات تربوية واجتماعية ونفسية عميقة، يمكن استثمار أحاديثهم في تنظيم الوقت، وضبط النفس، والصبر، والتأني عند الغضب، وعلاج الغفلة قبل أن تصبح سجية.

٢- حاجة الخطيب لعلوم اللغة والفقه: الخطيب يحتاج لسانًا قويًا فصيحًا، والمنبر مدرسة متنقلة للمذهب؛ لذا يجب على الخطيب دراسة اللغة، والقدر الكافي من الفقه، والعقائد بصورة صحيحة ومرتبة.

٣- مواجهة المستخفين بطلبة العلم: نواجههم بإثبات العكس من خلال سلوكنا؛ بترك فضول الكلام وفضول المعيشة، والالتزام بالورع والاجتهاد كما أوصى أمير المؤمنين (عليه السلام)، يجب على الطالب أن يحترم نفسه ولباسه المقدس أولً؛ لكي يحترمه الآخرون.

الخاتمة:

أسـأل الله سـبحانه وتعالى أن يوفقنا ويوفقكم، وأن يجعلنا مؤهلين لنكون من جند وليه الأعظم (صلوات الله وسلامه عليه)، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، أرجو ألا تنسـونا من دعائكم، وأعتذر إن وجد قصـور في الكلام، السـلام عليكم ورحمة الله وبركاته.